

## الرسالة الثانية

الْبَحْثُ الْوَجْهِي فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ الْغَرِيبِ

قال رسول الله ﷺ : «اَنْصُرْ اَخَاكَ ظَالِمًا اَوْ مَظْلُومًا. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُوْلَ  
اللهِ اَنْصُرْهُ اِذَا كَانَ مَظْلُومًا، اَفَرَأَيْتَ اِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ اَنْصُرْهُ؟ قَالَ:  
تَحْجُزْهُ اَوْ تَمْنَعْهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَاِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ». أخرجه البخاري برقم (٦٩٥٣)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال -جل في علاه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم إنه مما لا شك فيه أننا أمة وجبت علينا النصيحة -وفقهها- لله...، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، الأحياء منهم والميتين.

وتفاصيل القول في هذا الباب الشامل الكامل، وهذا الموضوع المهم الذي عظم شأنه ربنا -جل وعز- في كتابه الجليل إذ قال -وقوله الحق-: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: من الآية ٩١]. كما عظم قدره رسولنا الناصح الأمين -عليه من ربه أزكى الصلاة وأتم التسليم- بقوله وقوله الصدق: «الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟! قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين



وعامتهم»<sup>(١)</sup>.

أقول: تفاصيل ذلك معلومة في أبوابها من كتب الاعتقاد وكتب السنة الغراء وشروحها التي يعرفها من نذروا أنفسهم للعناية بها من أولي العلم والنهي، ألا وإن من هذه الأبواب كتب الردود على أهل الأخطاء، أو أهل البدع والأهواء التي قام بها ويقوم بها في كل زمان ومكان علماء السلف السابق منهم والمعاصر واللاحق: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وكم فيها يا أخي الكريم، من خير عميم، وأجر عظيم، وكم فيها من فوائد جمّة، تعود على الأمة، وبالأخص على من صدرت منهم أخطاء يتعين الرد عليها من ذوي الكفاءات العلمية، سواء كان أهل الأخطاء من الأحياء، أو ممن قد أفضوا إلى ربّهم، وما ذلك إلا لأن في الرد المذكور -بالإضافة إلى نصرة الحق الذي يحبه الله ورسوله وقمع الباطل الذي يبغضه الله ورسوله- تحذيراً للناس الذين قلّ نصيبهم من العلوم الشرعية، بحيث لا يميزون بين الغث والسمين، أو الذين ديدنهم التعصب للأشخاص<sup>(٢)</sup>، أو التقليد الأعمى، والتبعية الحزبية، لمن ذاع صيتهم، واشتهر نشاطهم في دعوة الخلق إلى تحكيم الشريعة الإسلامية -كما قالوا- بيد أنّهم لم يوفقوا للسير في منهج الدعوة الصحيح الذي سار عليه علماء السلف وأتباعهم قديماً وحديثاً، كما هو مفصّل في كتبهم السلفية، وسيرهم الدعوية.

وبقدر ما يتنكب الإنسان جادة السلف، ويزيغ عنها في أبواب العلم والعمل تكون البدعة والخطأ والزلل، ولا يعزب عن البال، ولا يغيب عن القلب، أن في الوقوع في الخطأ الموروث عن أهله إثمًا عظيمًا يحمله وارثه العامل به،

(١) أخرجه البخاري (٣٠/١)، ومسلم (٧٤/١) من حديث تميم الداري بهذا اللفظ.

(٢) غير شخص النبي ﷺ الذي زكاه ربه ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً، واثمنه على الوحي الكريم والشرع المطهر.



والداعي إليه، والمدافع عنه، وقد لا يسلم من سنّه في أيام حياته، ومضى إلى دار الجزاء قبل التوفيق للرجوع عنه وتحذير الناس من سوء عاقبته وشر فتنته ومغبته.

وأما المردود عليهم بحق، وهم على قيد الحياة فهم أحسن حظاً عند بذل النصيحة لهم، بالكشف عن الأخطاء التي وقعوا فيها، وتوجيههم من إخوانهم الناصحين إلى التي هي أقوم؛ فإن الواجب عليهم قبول النصيحة، والتوبة إلى الله، والرجوع الفوري من الخطأ إلى الصواب، ومن البدعة إلى السنة، ومن منهج الخلف إلى منهج السلف جملة وتفصيلاً، ذلك خير وأحسن تأويلاً.

يبد أن بعض من تبذل لهم درر النصائح احتساباً، تضيق صدورهم، وتتغير أحوالهم، إما لاستنادهم إلى شيء من التأويلات المذمومة، أو الأفكار المسمومة، التي يجب أن تخضع للتصحيح بالفهم الصحيح من الوحي الكامل الصريح، وإما استجابة لهوى النفس الأمارة بالسوء في حب الجدل، والاستعلاء، والتغلب، والانتقام، ولو ترتب على ذلك هلاك الشخص وعذابه؛ فيصبح الناصح في مفهوم ذلك المنصوح عدواً يجب أن يجهز عليه لحربه كل من يستجيب لداعي التعاطف مع الغير، وإن كان ذلك الغير يتيه في ضلال بحسن قصد أو سوى ذلك؛ من تحقيق بغية النفس الأمارة بالسوء، والهوى، والشيطان، وتلك قاصمة الظهر فبالله الثقة، وإليه المشتكى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي السنوات الماضية تم لبعض طلاب العلم في داخل المملكة وخارجها اطلاع على كتب قيمة، ومقالات، ونشرات جيدة وموثقة، فيها نقد لكتب كل من: سيد قطب، وأبي الأعلى المودودي، وجماعتي التبليغ، والإخوان المسلمون، ومن لف لفهم من الأفراد، والأحزاب، والمنظمات والهيئات، التي تدّعي كل منها وصلاً بليلى، فصارت تلك الكتب، والمقالات، والنشرات، سبباً في لفت نظر أهل الغيرة من العلماء الربانيين على الدين الحق؛ فأقبل بعضهم على دراسة نقدية



لكثير من كتب سيد قطب ومن ذكر معه آنفاً، فوجدوا فيها من الأخطاء الشنيعة الشيء الكثير.

منها: ما يتعلق بباب الاعتقاد، ومنها ما يتعلق بمنهج الدعوة والجهاد.

ومنها: ما يتعلق بباب الولاء والبراء.

ومنها: ما يتعلق بقسم الآحاد من صحيح سنة النبي ﷺ.

بل ومنها: ما يتعلق بحق بعض صحابة رسول الله ﷺ.

بل ومنها: ما يتعلق بحق بعض الرسل الكرام، والأنبياء العظام، مما لا يجوز

التفوه به.

وغير ذلك كثير من القضايا المهمة؛ التي لا يجوز لمن آتاه الله قدرة علمية أن يسكت عن الرد عليها، والتحذير منها طاعة لله، وقربة إليه، ونصرة لسنة رسوله ﷺ، ونصحاً للأمة، وبراءة للذمة، اللهم إلا إذا رأى غيره قد كفاه بما يكفي ويشفي.

ومن جملة من انبرى للرد في هذا العصر على كتب سيد قطب، والمودودي والجماعات الحركية، والتنظيمات الحزبية، والجماعات التبليغية، أخونا الفاضل الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية - سابقاً - وذلك في ستة كتب هي:

الكتاب الأول: "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل".

والكتاب الثاني: "منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والطوائف والكتب".

والكتاب الثالث: "أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره".

والكتاب الرابع: "مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ".

والكتاب الخامس: "المحنة البيضاء في السنة الغراء".



والكتاب السادس: "جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات".

وقد انتشرت هذه الكتب - بحمد الله تعالى - داخل البلاد وخارجها، واستفاد منها كثير من طلاب العلم الكبار منهم والصغار، وشهدوا له بأصالة الهدف، وصحة النقد وموضوعيته، وأنه جارٍ على غرار كتابة من سبقه من أئمة الدين والهدى ممن هياهم الله في غابر الأزمان للرد على أهل الأخطاء والتلبيس والبدع، وليست كتبهم بغريبة، ولا غائبة عن الأذكياء؛ بل هي منشورة ومحققة ومقروءة، قد استفاد منها كل محب للحق، وناصر للسنة، ومبغض للباطل، وساعٍ بجهوده الخيرة في قمع الهوى والبدعة.

وحيث إن صاحب كل دعوى يفتقر إلى بينة عليها، فإنني أحب في هذه الخاطرة أن أسطر من كل كتاب من كتب الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي مثلاً واحداً ليعلم إخواننا وأبنائنا وطلاب العلم المنصفين أن الردود التي قام بها الشيخ/ ربيع، هي جهاد في إعلاء كلمة الحق، وهي نصح للمسلمين؛ وبالأخص طلاب العلم المبتدئين، ومن في حكمهم ممن ليس له عناية في التوسع في فن العقائد والمناهج والردود، لئلا يقعوا في المحظورات والمحاذير فإلى الأمثلة:

١ - قال جماعة من الكتاب المعاصرين: "لابد من تطبيق قاعدة الموازنة بين الحسنات والسيئات والسلبيات والإيجابيات عند نقد الرجال والكتب والطوائف" ودلت هذه الجماعة على هذا التقعيد وعللت، ولكنها حسب علمي ما وفقت في إصابة الدليل، ولا في وجاهة التعليل في كل حال.

فرد عليهم الشيخ/ ربيع في كتابه: "منهج أهل السنة في نقد الرجال والطوائف والكتب" بقوله: "إن الموازنة ليست واجبة ولا لازمة، وذلك عندما تأتي تحذر من أهل البدع وكتبهم، وتذكر المجروحين بما فيهم من جرح، وأهل الشر وما فيهم من شرور، وذلك لصالح الإسلام والمسلمين". واعتبر وجوب الموازنة عند النقد



البناء، والرد الصائب، منهجاً غريباً يعارض منهج الكتاب والسنة، ومنهج العلماء الربانيين، الذين عظمت عنايتهم بالجرح والتعديل والردود على أهل الأهواء والبدع والأخطاء الفاحشة التي ينكرها الشرع الشريف، والعقل النير السليم العفيف.

وقد وافق الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي فيما قرره في هذه المسألة كل من صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن باز الأثري -رحمه الله-، وصاحب الفضيلة الشيخ/ عبد العزيز محمد السلطان -رحمه الله-، وصاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -حفظه الله-، رحم الله ميتهم ووفق الأحياء منهم لنصرة الدين وإعلاء كلمة الحق، كما وافق الشيخ ربيع جمع غفير من علماء المسلمين، والأدلة على ذلك واضحة وضوح الشمس في سماءها صحواً لا يحجبها سحاب؛ فليطلبها طالب العلم مثورة ومفصلة من كتاب ربه ﷻ ومن صحيح سنة نبيه ﷺ، ومن كتب علماء السلف الذين حباهم الله علوماً نافعة، ونوايا صالحة، وفهوماً ثاقبة، وجعلهم نجوماً يهتدي بهم من أحبهم، ونهج نهجهم واقتفى أثرهم.

٢- وقال المودودي -رحمه الله- في "الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية":  
"لعله قد تبين لكم من كتاباتنا ورسائلنا، أن غايتنا النهائية التي نقصدها من وراء ما نحن بصددده الآن من الكفاح إنما هي إحداث الانقلاب في القيادة..... إلى أن قال: فهذا السعي والكفاح المواصل نراه أكبر وأنجح وسيلة موصلة إلى نيل رضا الرب تعالى إلخ .

فرد عليه الشيخ/ ربيع -حفظه الله- في كتابه: "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله" بقوله: "بل أكبر وأنجح وسيلة إلى نيل رضا الرب سبحانه هو اتباع منهج الأنبياء في دعوتهم، وترسم خطاهم في تطهير الأرض من الفساد والشرك، وأكبر





وسيلة الإيمان بأركانه المعروفة، والإسلام بأركانه المعروفة أيضاً.

٣- وحينما قال سيد قطب -رحمه الله- في حق أهل الذمة: "يعيشون محترمين تربط بينهم وبين المسلمين صلوات المودة إلخ.

فرد عليه الشيخ/ ربيع -حفظه الله- في كتابه: "أضواء إسلامية" قائلاً: "بأن الله قد حرم المودة بين المؤمنين والكافرين في نصوص كثيرة من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: من الآية ٢٢].

٤- ولما قال سيد قطب -رحمه الله- في سياق كلام له: "ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي بن أبي طالب ﷺ امتداداً طبيعياً لخلافة الشيخين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهم إلخ.

رد عليه الشيخ/ ربيع -حفظه الله- في كتابه: "مطاعن سيد قطب" قائلاً: "لقد وقع سيد في هوة عميقة بإسقاطه خلافة عثمان الخليفة الراشد ضارباً عرض الحائط بإجماع الصحابة وأهل السنة والجماعة على صحة بيعته وخلافته الراشدة".

فهل يا ترى من قام بهذه الردود على تلك الأخطاء بل وعلى مئات من الأخطاء الخطيرة منها والأشد خطراً. هل كان يتحدث من فراغ؟! أو ينطلق من هوى؟! كلا؛ بل كان ممن سخرهم الله ﷻ للدعوة السلفية الصالحة التي قامت على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح فهو ينصرها وينشرها ويذب عنها كما يذب الوالد عن ولده بل أشد، ألا فهل من ناصر للحق ومدكر.

وأما الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق الذي رد عليه صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- في ست قضايا من القضايا المهمة؛ فأوضح له الأخطاء التي وقع فيها، ووجهه أقوم توجيهه وأرشده بالمبادرة إلى التوبة، وإعلان رجوعه عن تلك الأخطاء وذلك بالكتابة في مؤلف وإعلان ذلك



في الصحف السعودية والكويتية؛ فقد سرتني وأعجبني انشراح صدره لتوجيهات الشيخ له، وإبداء استعدادة بتنفيذ تلك التوجيهات، وإننا لمنتظرون ذلك على وجه التمام لمحبتنا في وصول الخير إلى كل مسلم.

والحقيقة: أنني لم يصلني من كتب الشيخ/ عبد الرحمن إلا القليل، ككتاب "الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة" الذي أجاد فيه واعتبرته من مراجعي وأنا أكتب بحثاً في العقائد والمناهج الدعوية، كما وصلني كتاب "العمل الجماعي" ورأيت أنه لا حاجة لي في قراءته لما فيه من الأخطاء التي تستدعي إعادة النظر منه وفيه، غير أنني عثرت على عبارات للشيخ عبد الرحمن أوردها الثقات في كتبهم التي انتقدوا بها بعض كتبه، ومقالاته، وأنشطته الدعوية، فأسفت أعظم الأسف لتفوهه بتلك العبارات، والتي منها قوله فيمن يعتبرهم خصوصاً له:

( أ ) شيوخ لا يفهمون إلا قشور الإسلام على مستوى عصور قديمة.

(ب) وهم طابور من العلماء المخطئين الذين يعيشون بأجسادهم في عصرنا ولكنهم يعيشون بعقولهم وفتاواهم في غير عصورنا.

(ج) وعن شيخه الشنقيطي قال: "إنه طبعة قديمة تحتاج إلى تنقيح وتصحيح". قلت: وقوله هذا في الشنقيطي يشبه قول محمد الغزالي المصري: "إن الشنقيطي يتلاعب بالألفاظ" ذكر ذلك في كتابه "علل وأدوية".

( د ) وقال -هداه الله-: "يغطون قعودهم بتلك الثثرة الفارغة، كقولهم: إن الوقت غير مهياً، وإن من السياسة ترك السياسة، وإن النبي ﷺ مكث ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد".

وهذه العبارات ومثات أمثالها لا نعرفها إلا عن الخلف الحزبيين الحركيين، وهم يلمزون بها علماء السلف الربانيين، وتلاميذهم الصالحين فحسبنا الله ونعم الوكيل.



وإذا كنت سمعت أيها القارئ المحب للحق وأهله تلك العبارات التي أطلقها أخونا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق فخذ مثلاً واحداً حتى يتبين لك أي جماعة يريد الشيخ عبد الرحمن بذلك الذم.

قال صاحب السماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- وهو يتحدث عن الأسلوب الصحيح لنشر الدعوة إلى الله: "فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شراً عظيماً على الدعوة؛ فالمسيرات في الشوارع والاحتفالات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس، والأمير، وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة.

فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء الكبار على معاداتهم ومضاداتها بكل ممكن فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم ولو طالّت المدة، أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(١)</sup> اهـ.

إذا فهم ما زبرته آنفاً؛ فإن الشيخ ربيع -وفقه الله- قد بذل النصيح لأخيه وزميله عبد الرحمن بن عبد الخالق حيث ألف كتاباً أسماه: "جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات"، أورد فيه كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الشيخ عبد الرحمن وذلك من خلال كتبه وأشرطته، وكان رده على تلك الأخطاء مؤيداً بالأدلة

(١) انظر مجلة البحوث الإسلامية عدد (٣٨) (ص ٢١٠).



النقلية والعقلية، وقد أخبرني الشيخ/ ربيع -وهو الثقة- أنه لم يكتب هذا الرد إلا بعد جولات من المناصحة لزميله عبد الرحمن، تارة بالمشافهة، وتارة بالمكاتبة غير أنه قال: ما رأيت على إثرها شيئاً من قبول للنصح، ولا أبصرت شيئاً يدل على تراجع عن الأخطاء التي وقع فيها، ونبهته عليها؛ فكتبت الرد المذكور.

وأخيراً: فإنني أطلب من الشيخ عبد الرحمن -وفقنا الله وإياه- تحقيق أمرين:

الأمر الأول: أن ينفذ ما أمر سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- بتنفيذه إبان الحوار الذي جرى بينهما في جريدة المسلمون.

الأمر الثاني: أطلب من الشيخ/ عبد الرحمن أن يقرأ ملاحظات الشيخ/ ربيع قراءة طالب للحق من أي شخص كان، فما كان من حق يسنده الدليل فليأخذ به انقياداً للحق، ورغبة في الرجوع إليه، واعترافاً بجميل من يهدي عيوب الآخرين إليهم، وما رأى من تجاوز صدر من الشيخ ربيع في رده المذكور فليتفق الزميلان على اختيار اثنين من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية ليكونا حكمين فيما جرى من ردود غير مسلمة، وبعد إصدار الحكمين الحكم بما ظهر لهما من صواب أو خطأ فلا داعي للجدل بعد ذلك.

وفق الله الجميع لكل خير وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.